خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٠/٠٩/١٧

في غالواي بأيرلندا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(البقرة ١٢٨-١٢٩)

هذه زيارتي الأولى لأيرلندا، والهدف من هذه الرحلة وضعُ حجر الأساس لأول مسجد للجماعة الإسلامية الأحمدية. فكنتم (أفراد هذا الفرع للجماعة في هذا البلد) من زمن طويل محتارين من أمركم حول مكان بناء أول مسجد،

أفي دَبْلِن أو في غالواي، فالحمد لله وأشكره على أنكم استجابة لرأيي القائم على أسباب معينة اتفقتم جميعا تقريبا عن طيب خاطر على أن يشاد أول مسجد في غالواي التي تُعَدّ طرف الكرة الأرضية من ناحية أنها تقع على شاطئ المحيط الأطلسي، حيث لا توجد أي جزر أوروبية بعدها بل تنتهي سلسلة الجزر عندها. فمثلا، لو رسمنا خطا مستقيما لوجدنا بعد المحيط كندا وأمريكا. فهكذا تُعد غالواي أيضا طرفَ الكرة الأرضية، حيث يوفَّق أتباع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لتشييد المسجد لكي يُنشر إعلان وحدانية الله سبحانه وتعالى في العالم من هذا البلد أيضا، وهذا ما نستهدف من بناء المساجد في العالم أنه إذا كنا نجتمع في المساجد خمس مرات يوميا لنعبد الله سبحانه وتعالى ونخضع له متطهرين ومتعبدين فإننا ننشر رسالة التوحيد في العالم أيضا بهذه الواسطة في الوقت نفسه، حيث نوصل إلى أهل الدنيا هذه الرسالة رافعين شهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ثم حين تصعد هذه الشهادة إلى العرش من كل أنحاء العالم نُعدّ نحن أيضا ضمن الفائزين برضوان الله سبحانه وتعالى. ولهذا السبب قد بعث الله سبحانه وتعالى المسيح المحمدي في العالم. وقد بشّر الأنبياء السابقون والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بمجيء محبه المخلص بعده الذي مهمته أن يرفع في العالم هتاف الله أكبر، وأن يجعل أهل الدنيا منيبين إلى الله عز وجل بجمعهم على يد واحدة من خلال إيصال رسالة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" إليهم، ويجعلهم غلمانَ رسوله الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم. فلم يأت سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بغير هذه الرسالة وحدها. فحين كان الله سبحانه وتعالى بشره في الوحي بأني سأبلغ دعوتك إلى أقصى أطراف الأرضين، فكان يقصد تبليغ هذه الرسالة التي جاء بها حبيبُ الله وآخرُ رسله خاتَمُ النبيين

وفخرُ الرسل سيدُنا محمد المصطفى ﷺ، الذي أكمل الشريعة ومتَّع العالم بالفيوض التي كان يبحث عنها العالم لأنه قد تمَّت عليه النعمةُ. فحين يقول الله ﷻ لعبده: إني سأبلغ دعوتك إلى أرجاء المعمورة، فإنما المراد من الدعوة هذه الرسالة التي كان قلقا ومهتما لإيصالها لدرجة أنه كاد يبخع نفسه متأسيا بأسوة سيده ومطاعه.

يقول الله ﷻ إن الدين الذي سيغلب العالَمَ هو الذي جاء به حبيبي محمد (ﷺ)، ويا أيها المسيح المحمدي إنما بعثتُك وسيلةً لغلبة هذا الدين، فإني قد قدرت أن يكون الفتح الأخير حليفا للإسلام وحده فهذا وعْد مني، فلا داعي للقلق بسبب ضعفك وقلة وسائلك والعقبات الكثيرة التي تعترض سبيلك، لأن إنجاز المهمة التي عهدتُها إليك ليس مطلوبا منك وحدك، وإنما هو مقدر من الله، ومن ثم فإن تأييدي ونصرتي أيضا تحالفك.

فرغم قلة الوسائل والضعف البشري وعوائق الطريق الكثيرة سوف أمكِّنك أنا بجميع قدراتي من إنجاز هذه المهمة التي هي في الحقيقة مهمةُ جمْع العالم بأسره تحت رايتي وراية رسولي ﷺ. وإن تاريخ الجماعة الإسلامية الأحمدية يشهد على أننا شاهدْنا – ولا نزال نشاهد وسنظل نشاهد – مَشاهد تأييد الله تعالى ونصرته عند كل خطوة لنا. فلنأخذ وسيلة الفضائية الإسلامية الأحمدية مثلا، كيف تصل بها رسالة الأحمدية الإسلام الحقيقي إلى أنحاء العالم، ثم بواسطتها يصل صوت خليفة المسيح الموعود عليه السلام إلى العالم كله حيثما نزل لجولة تبليغية وتربوية.

ثم كما قلت قد ذكرت فيما سبق أيضا في خطبي أن رسالة المسيح المحمدي عليه السلام تُوصل بهذه الواسطة إلى أنحاء العالم على لسان خليفته من جزر فيجي وبعض الأماكن الأخرى التي تعتبر أطراف الكرة الأرضية، فكأن هذه الرسالة تبث عبر الفضائية الإسلامية الأحمدية من أطراف الأرض إلى مركزها والبر والبحر وإلى أطراف الأرض كلها.

فما أعظمه من برهان على صدق سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، وإذا كان هناك عين باصرة فلتبصر، فهذا الأمر يشكل دليلا على إنجاز وعود الله سبحانه وتعالى بالنصرة والتأييد مع حضرته.

وخطبة اليوم التي تبث من هنا هي الأخرى تمثِّل حلقة من هذه السلسلة، لأن غالواي أيضا تعد طرف الكرة الأرضية في رأيي كما قلت قبل قليل، فينبغي أن نتذكر على الدوام أن المهمة التي وكّلها الله سبحانه وتعالى بالمسيح المحمدي عليه السلام قد عُهدت نفسُها إلى أتباعه أيضا، ويجب أن نضع هذا الأمر في الحسبان كل حين وآن. فكان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يقلق رغم وعود الله سبحانه وتعالى معه. ومع أنه سبحانه وتعالى كان يهدّئ روعه كل مرة بكلمات تبعث على الطمأنينة فإنه لم يقصِّر في مساعيه ولم يقلل أدعيته ولم يخفّ قلقُه، ذلك لئلا تتأخر وعود الله بالتقصير في أيٍّ من هذه الأمور. وكان يخشى أن لا يجلب أي تقصير منه سخطَ الله وغضبه، وكان قد تعلّم كل هذه الأمور من سيده ومطاعه محمد صلى الله عليه وسلم. إذ قرأنا وسمعنا مرارا في الخطب أن حضرته صلى الله عليه وسلم كان رغم وعود الله المؤكدة يقلق ويُكثر الابتهال والتضرع والدعاء في معركة بدر وكان يرتعش جسمه لكثرة الضراعة حتى كان يسقط الرداء عن منكبيه، وكان أبو بكر رضي الله عنه يسوي عليه

رداءه ويقول لحضرته ﷺ لا بأس إذا كنا اليوم عصابة ضعيفة فإنه ﷻ سيُنجز لك ما وعدك كما أنجز في الماضي إلى اليوم. ومن كان أعلمَ من حضرته ﷺ بأن الله ﷻ معه وأن وعده حق وأن الفتح حليفه يقينا؟ غير أنه ﷺ استمر في التضرع والابتهال دون أن يبالي بقول أبي بكر رضي الله عنه، وظل يلحّ على الله ﷻ ويناشده ﷻ أن لا تتأخر وعود الله بسبب أي ضعف أو قصور منا. فإذا كان أحباء الله ﷻ متأكدين وموقنين بأن الله ﷻ سينجزنّ وعوده بالتأكيد ففي الوقت نفسه هم يضطربون أن لا يصدر منهم قصور يؤخر هذه الوعود لأن الله غني. وهذا هو المبدأ الحقيقي الذي يتمسك به الأتباع الصادقون ويجب أن يكون كذلك، حيث لا يتهاونون في بذل المساعي ولا في الدعاء والتضرع ولا يعوّلون على أعمالهم ولا على تضحياتهم، بل يتحرون دوما أفضال الله تعالى مالئين قلوبهم بخشية إلهية، ولا يخطرنّ ببالهم أبدا أن ما يحظون به من الإنعامات هو نتيجة سعيهم. وهذا الدرس نفسه نتلقاه من الآيات التي تلوتها عليكم في بدء الخطبة حيث لفت الله انتباهنا إلى هذا المبدأ بذكر مثال أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وبإيراد قصتهما، فإذا تدبرتم هذه الآيات فستتوصلون إلى هذه النتيجة، فحين كانا (الوالد والابن) كلاهما يرفعان قواعد أول بيت لله ﷻ كانا يدعوان الله بكمال الخشوع والتواضع أن يتقبل منهما التضحية التي يقدمانها استجابة لأوامره، ففي هذا أيضا كمال التواضع حيث لم يكونا شخصيا يعرفان شيئا عن قواعد الكعبة إذ قد عرف سيدُنا إبراهيم بذلك بإعلام إلهي فقط، وكان الله ﷻ هو نفسُه أخبره أنه أقدم بيت وضع للناس وأن هذا هو البيت الذي سيدوم إلى الأبد علامةً لوحدانية الله ﷻ.

فرغم أن الله ﷻ كان سيجعل هذا البناء علامة لوحدانيته، ومع ذلك كلِّه كانا يدعوان: ربنا إننا نبنيه امتثالا لأمرك، فوَفِّقنا لأن نستمر في تقديم التضحيات من أجله، إنهما سألا الله التوفيق لتقديم التضحيات المتتالية المرتبطة ببناء هذا البيت التي يتطلبها منهما ومن أجيالهما إسكانه وإعماره في المستقبل، فلم يخافا الجهود الشاقة المرتبطة بإسكان هذه المنطقة وإعمارها. بل قالا: اللهم ربنا، إن تضحياتنا لا تساوي شيئا مقابل الأفضال التي سوف تُنعم بها علينا نتيجة استجابتك لدعواتنا. ثم إن قبولَ التضحيات أيضا يتوقف على فضلك ورحمتك. فلعلنا نقوم بالتضحية حسب ظنِّنا، إلا أننا لا نعرف حقيقتها بأنها تُعتبر تضحيةً حقًّا أم لا. فيا سميع الدعاء ندعوك بكل تواضع أن تقبل منا بمحض فضلك كل ما قدّمناه في سبيل إنشاء هذا البيت الذي بدأناه بأمرك، ونريد أن تظهر استجابة دعائنا بهذا الشكل أن يقترن اسمنا مع هذا البيت للأبد. فكانا يدعوان مناديَين اللهَ بمناشدة صفته السميع ويستجديان استجابة دعواهما، كما كانا يقومان بالدعاء مناشدَين صفة الله العليم أيضا قائلَين ربنا لا تخفى عليك حالة قلوبنا فإنك تعلم ما فيها، وتعلم أننا خضعنا إليك ونريد أن نظل خاضعين لك بكل إخلاص، فتقبلنا في حضرتك، واجعلنا ورثة الإنعامات المنوطة بهذا البيت، واجعل اسمنا أيضا مرتبطًا بهذا البيت ما بقي صوت وحدانيتك يرفع من هنا إلى نهاية هذا العالم. كانا يدعوان أن يتذكرهما في أدعيتهم من يقصدون زيارة هذا البيت ومن يرتبطون بهذا البيت بانتماء صادق. فلقد قام هذا الوالد وولده بتضحيات عظيمة لدرجة نتذكرهما حتى اليوم. ونحن المسلمين كلما صلينا على النبي في الركعة الأخيرة في كل فريضة

ونفل صلينا على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله أيضا. لقد أعطيت لإبراهيم هذه الدرجة السامية بسبب وفائه واستعداده الكامل للتضحية في سبيل الله تعالى، وقد ذكر القرآن الكريم هذا الأمر بالكلمات التالية: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾(النجم ٣٩)، أي إبراهيم الذي أوفى بعهده.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن هذا الأمر:

"من الصعب أن ينال الإنسان مرتبة أو درجة ما لم يَصِر عبدًا لله بالصدق والصفاء. يشهدُ الله – عز وجل – لإبراهيم بقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾.. أي أنّ إبراهيم هو ذلك الشخص الذي قد وفى بعهده. فإن تطهيرَ الإنسان قلبه مِن حبِّ غير الله وجعْلَه عامرًا بحب الله تعالى، والعيْشَ بحسب مرضاة الله، وكونَه مطاوعًا لمشيئة الله مطاوعةَ الظل للأصل لدرجة تتوحد إرادته مع إرادة الله دون أية منافاة فيهما، كل هذا لا يتأتى إلا بالدعاء...

ثم يقول حضرته: إن الخسيس، والجبان وعديم الوفاء الذي لا يرتبط مع الله تعالى بعلاقة الإخلاص والوفاء بل هو غدّار فلا يساوي شيئا ولا يثمّن بثمن ولا قيمة. إنما شرف الإنسان وقدره كله بالوفاء. أتعرفون على أي أساس وُهبَ لإبراهيم عليه السلام الشرف العظيم والدرجة الكبيرة؟ لقد أصدر القرآن الكريم قرارًا فيصلا فيه إذ قال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾، أي إن إبراهيم هو ذلك الشخص الذي أوفى بعهده معنا، فلقد ألقي في النار إلا أنه لم يقبل أن يقول للكفار أنه يعبد أصنامهم (أي أنه رفض العبادة لغير الله تعالى)، كان هذا هو الوفاء الكامل." (الملفوظات، الإصدار الجديد، ج ٣، ص ٤٥٧– ٤٥٨)

فيجب أن نتحلى بهذه الروح عند تلاوتنا لهذه الآيات في مناسبة وضع حجر أساس مساجدنا وعند افتتاحها، أننا في ائتمارنا لأمر الله تعالى هذا إذا قمنا بأي تضحية فلا نعرف أنها تضحية حقيقية أم مجرد رياء، بل الله تعالى أعلم بحقيقتها، لذلك ندعوك ربنا أن تجعلنا من الذين يقدمون في سبيلك تضحيات حقيقية.

سوف تنشئون هذا المسجد بإذن الله تعالى، والمعروف أن مساجدنا تُنشأ بتضحيات مالية لأفراد الجماعة، فينبغي أن نقدم كل هذه التضحيات في سبيل الله تعالى محاسبين أنفسنا وداعين الله تعالى أن يجعل تضحياتنا هذه مدعاة لنيل رضوانه، وألا يخطر ببالنا قط أننا قدّمنا أو نقدم تضحية جبارة. إن مداخيل كثير من أفراد جماعتكم جيدة بفضل الله تعالى، أما في باكستان وفي بلدان أفريقيا وغيرها من البلاد الفقيرة فينشئ الأحمديون المساجد بتضحيات لا يقومون بها إلا بالتضييق الشديد على أنفسهم، ومع ذلك فإن كثيرًا منهم يتمنون لو وفّقهم الله تعالى أكثر لقدّموا في سبيله أكثر مما قدموا. وأعرف كثيرا من الأحمديين الأفارقة الذين لم تكن حالتهم المادية جيدة سابقا ومع ذلك كانوا يقومون بالتضحيات المالية بقدر سعتهم، ثم غيّر الله تعالى أيامهم فازدادت موارد دخل البعض منهم وتوسّعت تجاراتهم، فرفعوا بدورهم مستويات تضحياتهم أيضا. فإنهم لم يهتموا – بهذا المدخول الزائد – براحتهم وسكينتهم، بل بذلوا في سبيل إنشاء المساجد بلا عدّ وإحصاء، ومنهم من وعد بتحمل نفقة إنشاء مسجد واحد ثم قاموا بإنشاء مساجدَ كبيرة وجميلة بفضل الله تعالى. فلقد أعطى الله تعالى لجماعة المسيح الموعود عليه السلام رجالا

يقومون بتضحيات عظيمة، ثم لا يخطر ببالهم قط أنهم قد قاموا بتضحيات كبيرة ومآثر عظيمة.

لقد ذكرت في البداية أن معظم أفراد الجماعة هنا قد رحبوا بقرار إنشاء المسجد في "غالواي"، ولكن البعض منهم كانوا يريدون أن يُنشأ هذا المسجد في "دبلن"، وبعضهم قد كتبوا إلي أن عدد أفراد الجماعة في "دبلن" أكثر لذلك يجب أن يُنشأ المسجد هناك أولا. إن رغبتهم هذه في محلها، ولكن كانت هناك بعض الأسباب الأخرى التي أدت إلى أن ننشئ مسجدنا الأول في "غالواي". والآن على هؤلاء – الذين يُنشأ المسجد ههنا خلافًا لرغبتهم – أن يساهموا في تعميره برحابة الصدر، ولا يعطوا هذا الانطباع بأنهم لا يزالون يرغبون إنشاء المسجد الأول في "دبلن" لأنهم يقطنون هناك، أو أنهم سيساهمون في إنشاء المسجد في مدينتهم فقط. إنه مشروع مركزي، لذلك فعلى الجميع أن يشتركوا فيه. ثم عندما يُنشأ المسجد في "دبلن" – بإذن الله تعالى – فسيشترك الجميع أيضا في إنشائه. اعلموا أن إنشاء هذا المسجد بمنـــزلة فتح الطريق، فلن يتوقف إنشاء المساجد ههنا.

ويتعلق الأمر المذكور بالوفاء الخالص، فالوفاء يعني الوفاء بالعهد أيضا، وكل أحمدي قد تعهد أنه سيكون جاهزًا ومستعدًّا كل حين وآن لبذلِ نفسه وماله ووقته وعزّته ومنصبه. فلا يمكن أن يتحقق وفاء هذا العهد إلا إذا شارك كل أحمدي في إنشاء هذا المسجد بإلغاء ذاته وبكل ما في وسعه. إنكم تُطالَبون بتقديم تضحيات مختلفة في أوقات مختلفة، أما الآن فهذه التضحية هي المطلوبة منكم. ويجب أن تتذكروا دائمًا أن قرب الله تعالى لا يُنال إلا بإقامة

نماذج عليا للوفاء ومن خلال تحقيق العهود الصادقة. وأي شيء أولى أن تضحوا من مالكم لأجله من البناء الذي لا يُنشأ إلا ليصبح بيتًا لله تعالى وليتمكن أهل الله تعالى من العبادة فيه؟

لقد قدّم النبيّان الجليلان المذكوران كل ما كان لديهما من أجل إقامة بيت الله تعالى، فلقد تقبل الله تعالى تضحيتهما فبعث من ذريتهما أحب أنبيائه كما قرن اسمهما أيضا باسم هذا الحبيب إلى يوم القيامة. فكانت هذه التضحية عظيمة ولاقت القبول في حضرة الله تعالى. واليوم أُمرنا أن نعمّر مساجد الله تعالى آخذين في الاعتبار نموذج تلك التضحية العظيمة، وأن نجعل مساجدنا متجهة إلى بيت الله العتيق هذا، وذلك حتى نبقى منتبهين إلى عبادة الله تعالى ونتذكر دومًا تضحيات هؤلاء المبعوثين ونختبر نماذج وفائنا على محك وفائهم، وهكذا ستُستجاب أدعيتنا دومًا. فعلى من يعمرون مساجد الله تعالى أن يحافظوا على هذه الروح كل حين وآن. ولقد وضح الله تعالى في الآية الثانية طريقًا للمحافظة على هذه الروح، حيث ذكر فيها أن هناك أعمالا لا بد من أخذها بعين الاعتبار من أجل الحفاظ على هذه الروح.. روح الوفاء والتضحية. فكان هذان النبيان الصالحان يقومان بهذا الدعاء: ﴿ربنا واجعلنا مسلمَين لك﴾، فالشرط الأول لمن يعمّر مكانًا لعبادة الله تعالى أن يكون مطيعًا كاملا لله تعالى. وهنا أيضا تمّ التأكيد مرةً أخرى على موضوع الوفاء والإخلاص. فلا تتأتى الطاعة الكاملة إلا بالوفاء التام. ولا يمكن أن يبدي الطاعة الكاملة إلا أولئك الذين يحققون معايير عليا في الإخلاص والوفاء. فعندما يتعهد العبد بالطاعة الخالصة مع ربه فيدعوه فهذا يعني أنه يعد أن يبذل

ما في وسعه حتى يبقى مركّزًا على إظهار نماذج الطاعة الكاملة. وما هو النموذج الأعلى للطاعة الكاملة؟ إنما هو العمل بأوامر الله تعالى بكل ما أعطِي الإنسان من القوى والقدرات، والمحاولةُ الجادة والدؤوبة في هذا السبيل. وهذه الأوامر تتضمن أداء حقوق الله تعالى، وبالإضافة إلى ذلك وُجِّهت الأنظار إلى أداء حقوق العباد أيضا، ومنها الانتباه إلى رفع مستويات العبادة وكذلك النصحيةُ إلى السعى للطاعة الكاملة لنظام الجماعة وأداء حقوق الناس بكل معنى الكلمة. وعندما يحاول الإنسان تقديم هذه النماذج السامية ويدعو أيضا بهذا الصدد، عندها يخطر بباله ويفكر ألا تنقطع حسناته بعد وفاته، لذا علّمنا إلى جانب تشييد بيت الله دعاء: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ لكي تبقى ذريتنا أيضا متوجهين إلى عبادتك دائما ومتمسكين بنظام الجماعة، ويؤدوا حقوق الآخرين أيضا متشبثين بالأخلاق الفاضلة. هناك كثير من الناس الذين بايعوا في زمن المسيح الموعود عليه السلام على يده ولكن لم يتمكنوا من تربية أولادهم وأزواجهم على المنهج نفسه و لم يُدمجوهم في نظام الجماعة، الأمر الذي أدى إلى ابتعادهم من الجماعة رويدا رويدا حتى اختفوا نهائيا والآن لا يُعثر لهم على أثر. هذه الأمثلة تلاحَظ في منطقة "سرحد" الباكستانية بكثرة. فحين يدعو الإنسان لنفسه أن يكون مطيعا كاملا وعاملا بأوامر الله بدقة وأن يكون متمسكا بيد الذي بايعه، عليه أن يدعو لأولاده أيضا، عندها فقط تُكتب له النجاحات. فهذه السلسلة من الأدعية يجب أن تبقى جارية وقائمة، وبهذه الأدعية يحاول الإنسان نيل الهدف السامي من وراء تشييد المساجد، وهذا ما يتحتم عليه أن يفعله في الحقيقة. فلو نال الإنسان هذا الهدف

لصلُحت دنياه وعقباه. لقد استجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام على أحسن وجه حتى صار ذلك المكان محورا لجميع المساجد وفي العالم كله. والحق أن هذا ما كان مقدرا عند الله. وفي ذريتهما وُلد ذلك الرسول العظيم الذي ضرب أمثلة جديدة وأعلى من الطاعة الكاملة والعبادات. وقد قدّر الله تعالى أن تتحقق في شخصه ﷺ معايير العبادة أعلى وأسمى من إبراهيم عليه السلام. ثم وجّه سبحانه أنظارنا إلى أمر مهم آخر قائلا: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾. فماذا وجدناه في تلك الأسوة الحسنة؟ لقد رأينا المعايير الجديدة والحسنة للعبادات، أقول ذلك نظرا إلى عملية بناء المساجد. ولم تقتصر تلك النماذج على النبي ﷺ فقط بل نفث ﷺ الروح نفسها في أصحابه أيضا الذين ضربوا بدروهم أمثلة لا تضاهى من العبادة. فأول ما قام به النبي ﷺ لدى وصوله المدينةَ أن أسس مسجدا لأداء الصلاة جماعةً، حتى تبقى الأمة متوجهة دائما إلى عبادة الله الواحد الأحد فيعبدوا ربهم مجتمعين في مكان واحد. ثم رأت الدنيا أن مسجد النبي صار مركزا للذين كانوا يعبدون الله ليل نهار، وإن هذه السلسلة لا تزال جارية إلى يومنا هذا.

فباختصار، يجب أن يدعو الإنسان ويحاول أيضا دائما – إلى جانب بناء بيوت الله – إلى أن تكون ذريته على علاقة وطيدة مع الله دائما، عندها فقط يمكن أن تتحق الفائدة من بناء المساجد وإلا لا فائدة من إقامة هيكل من الخشب والحجر. فلا تظنوا أننا قد شيدنا المسجد بتقديم تضيحة مالية وبذلك انتهت مسؤوليتنا. بل الحق أننا حين نبني المسجد ونضع لبنته الأولى، فهذا يوجب علينا أن ندعو الله تعالى عند كل لبنة توضع في الجدار إلى أن يصل البناء نهايته

ويجب أن ندعو لعمارته أيضا حتى تظل قلوبنا ميالة إلى عبادة الله خالصة لوجهه الكريم، وكذلك لكي تكون ذرياتنا أيضا متوجهة إلى عبادة الله ﷻ.

ثم هناك نوع آخر من المساجد التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم فقال بأنه كان قد أُسِّس على الفساد. ولكننا سنبني بإذن الله مسجدا على أساس التقوى والورع. فسعادتنا الحقيقية من بناء المسجد هي أن يجعلنا المسجد خاضعين أمام الله تعالى أكثر من ذي قبل، وأن يكون معمورا بقلوب مضطربة لعبادة الله فور تشييده، وأن تترقى معايير تضحياتنا.

كذلك تتضمن هذه الآية دعاء آخر: ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي علِّمنا يا رب أساليب التضحيات التي تنال القبول في حضرتك، حتى تظل معايير عباداتنا ترتفع باستمرار، وترتفع مستويات تضحياتنا أكثر من ذي قبل. إذًا، فإن هذا المسجد يلقي مسؤولية كبيرة على الساكنين هنا. فإذا تمسكنا بهذا المبدأ فسنكون في حضرته من المقبولين بفضله ورحمته. ثم يعلّمنا الله دعاء آخر: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ أي مهما حاولنا ومهما ركّزنا على العبادات ومهما انتبهنا إلى أداء حقوق الله وحقوق عباده وتربية أولادنا وإصلاحهم ومهما توجهنا إلى تبليغ دعوتك يا ربّ فلا بد أن تبقى في أعمالنا بعض النقائص والعيوب بمقتضى البشرية، فنرجوك وندعوك يا ربّنا ألا يؤَجَّل بسببها تحقُّق الأمور الموكولة إلينا. فنسألك فضلك ورحمتك أن تتوب علينا دائما فضلا منك واعف عنا، وإذا بقيت في أعمالنا تقصيرات فاصفح عنا، إنك أنت التواب الرحيم.

ولكن يجب أن يكون معلوما أن التوبة تُقبل من الذي لا يتورط في الذنوب قصدا. والذي يسأل الرحمة بالتكرار يُرحَم. فهذه سلسلة الأدعية وكسب الأعمال الصالحة وتجنب الأعمال السيئة والسعي الدؤوب بهذا الصدد. فإذا بقيت هذه السلسلة مستمرة فسينزِّل الله رحمته وفضله. وبربط هذه السلسلة مع بناء المسجد لفت أنظارنا إلى مسئووليا تنا المتزايدة باستمرار.

فببناء المسجد سوف تتوجه إليكم وسائل الإعلام. كان هناك كثير من الأحمديين الذين لم يعرفهم أحد من قبل، أو قد لا تكون الجماعة المحلية أيضا معروفة عند الناس بهذا الشكل، أما الآن فيتوقع أن يلفت المسجد انتباههم. وهذا ما جرّبناه من خلال تجاربنا في بلاد مختلفة أن الناس يتوجهون إلى الجماعة بعد بناء المسجد.

فكلما ارتفعت هذه البناية جذبت انتباه الناس أكثر فأكثر، وكذلك ازداد كل أحمدي يسكن هناك أهميةً. ولكن يجب أن يشعر كل شخص أنه يزداد أهميةً عند الناس لأن عيون الناس المحليين سترنو إليهم في هذه الحالة. وإنني لآمل أن يؤدي ذلك إلى فتح أبواب تبليغ الدعوة فستكونون بحاجة إلى توسيع نطاق الدعوة، ولإيجاد سبل مختلفة لتبليغ الرسالة إلى الناس أكثر من ذي قبل.

عادة أوجه أنظار الإخوة إلى أن المسيح الموعود عليه السلام يقول عليكم أن تبنوا مسجدا في المنطقة التي تريدون أن تعرِّفوا الإسلام وتبلغوا الدعوة فيها. فأظن أنكم – ببنائكم المسجد – ستُجبَرون على توسيع دائرة تبليغ الدعوة. ولسوف تضطرون لذلك، شئتم أم أبيتم، إذا كنتم تريدون إيفاء عهودكم وضرب الأمثال على إخلاصكم ووفائكم. وإضافة إلى ذلك من واجب كل

أحمدي يقطن هنا – رجالا ونساء، شبابا وشيوخا – أن يقدموا أسوتهم النبيلة، ومن هذا المنطلق عليهم أن يداموا على التوبة والاستغفار ليوفقهم الله تعالى للقيام بالأعمال الصالحة.

من المعلوم أن سيدنا إبراهيم وإسماعيل عندما رفعا قواعد البيت كانا وحيدينِ ولكنهما بدآ بهذا العمل بيقين كامل بالله تعالى بأنه إذا كان قد وفّقنا لهذا العمل فلسوف يُكثر ذريتنا أيضا في المستقبل، فدعا لذريته أن يوفق الله تعالى إجياله القادمة للتمسك بهذا المبدأ والهدف النبيل دائما. واليوم نرى – نحن الذين ننتمي إلى أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ ثم ننتمي إلى محبه الصادق – تلك الأمة والذرية تكثر باستمرار.

لقد سمى اللهُ تعالى المسيحَ الموعود أيضا في هذا العصر باسم "إبراهيم" في الإلهام. فلا شك في أن أدعية إبراهيم هذه أيضا قد استُجيبت ولا تزال تستجاب. وقد شاهدنا استجابتها من قبل ولا نزال نشاهدها تُستجاب. لقد ألهم الله تعالى إليه عليه السلام بالعربية: "أريحك ولا أجيحك، وأُخرج منك قوما".

يقول المسيح الموعود عليه السلام بأني أُفهِمت بعد هذا الإلهام أن المراد منه هو أن الله تعالى قد جعل "إبراهيم" قوما. فالقوم الذي يتأسس في العصر الراهن بواسطة المحب الصادق للنبي ﷺ إنما يتأسس بتأييد الله الخاص ونصرته، ويوفق الله تعالى هذا القوم لبناء المساجد أيضا لعبادته دائما. ولكن للاستفادة على خير ما يرام من بركات المساجد هناك حاجة ماسة أن نتقدم دائما في توطيد العلاقة بالله تعالى بالإكثار من التوبة والاستغفار، حتى نأكل نحن وأجيالنا أثمارها على

الدوام، ولكي تنال تضحياتنا قبولا عند الله، وترتفع مستويات عبادتنـــا، وأن نخلق في أولادنا أيضا روحا لتوطيد العلاقة بالأحمدية أي الإسلام الحقيقي.
ندعو الله تعالى أن يوفقنا جميعا لذلك، آمين.